التنافس الإيجابي والتنافس السلبي

تتجه غالبية الناس إلى التنافس بهدف الحصول على المال أو الجاه أو مكانة علمية أو أدبية مرموقة. ويعود سبب التنافس إلى طموح كل إنسان أن يحقق الكثير في حياته، وأن يتفوق على أقرانه وزملائه، وأن يترك خلفه سيرة حياة تستحق التقدير. إذ يتمنى كل إنسان في الواقع أن يكون أفضل الناس، لكن ظروف الحياة، وظروف كل شخص واستعداده العقلي وتربيته، وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه تفتح المجال أمام البعض كي يبدعوا ويتجاوزوا طموحاتهم أحياناً، فيما تحرم الغالبية من الاقتراب من أهدافهم.

يتجه الفرد في الغرب عامة إلى التنافس مع غيره باتباع طرق إيجابية تعترف بانجازات المنافسين وحقوقهم، وتدفعه إلى العمل على تحقيق انجازات تتفوق على انجازات أقرانه. ويعود السبب في اتباع هذا الاسلوب الإيجابي إلى سيادة الحرية في المجتمع، وكثرة الفرص وتوالدها بشكل آني تقريباً، وضعف مشاعر الحسد والغيرة عن الحياة بوجه عام. وهذا يفتح المجال أمام كل إنسان تقريباً كي يعيش حياته كما يريد بعيداً عن عيون المتطفلين والحاسدين. حين تسود روح التنافس الايجابي يندفع الناس إلى العمل على تكديس الثروات، والتحصيل العلمي، والتميز في مجال تقديم التبرعات للمحتاجين والمؤسسات الخيرية والعلمية والتعليمية، وغير ذلك من نشاطات تثري حياة الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه، ما يجعل الانجاز في المجالات الخاصة والعامة أساس لب عملية التنافس.

أما في العالم العربي، فإن التنافس يأخذ في معظم الحالات والأحيان منحى سلبياً يقوم على التقليل من شأن الآخر، وغض النظر عن انجازاته العلمية وغير العلمية، والتشكيك في مصداقيته، واتهامه أحياناً بما فيه وبما ليس فيه من سلبيات، وذلك بهدف تدمير سمعته وتغيير نظرة الناس إليه. وما دام الشخص المستهدف لا يزيد عن كونه قزماً وسيئاً ومشكوك في أمانته ومصداقيته وأصالة أفكاره، فإن المتنافس يبدو الشخص الأفضل وصاحب الحق في الاحترام والتقدير.

ويعود سبب سيادة روح التنافس السلبي في المجتمع العربي إلى ثقافة الحسد والغيرة، وغياب الحرية الشخصية، وتحكم الواسطة، وضعف الفرص التاحة أمام الناس، وضيق مجالات العمل والإنتاج، وممارسة النميمة كهواية تحظى بشرعية ثقافية. وفي ضوء توجه المجتمعات العربية الأعمى نحو المال والمادة ومظاهر الترف، ونجاح المال في تبوأ المكانة الأهم في المجتمع، فإن النجاح أصبح يقاس بمقدار المال دون غيره من أمور حسية وغير حسية، ما جعل مكانة العلم والثقافة والقيم النبيلة تتراجع.

حين تكون المنافسة شريفة ومفتوحة أمام جميع الناس، وفرص الكسب متوفرة، فإن العلم والجهد والصدق والمثابرة تصبح أهم أدوات خوض المعارك التنافسية وأكثرها ضماناً لتحقيق النجاح والفوز بما يصبو إليه المتنافسون من علم ومكانة اجتماعية وثروة. في المقابل، حين تكون المنافسة محصورة ضمن فئات معينة دون غيرها، والفرص قليلة أو شبه معدومة، فإن الكذب والاحتيال والخداع والاستغلال تصبح أهم أدوات خوض المعارك التنافسية وأكثرها ضماناً لتحقيق النجاح المطلوب. وفي ضوء محدودية الفرص وعدم توزيعها بشكل عادل في الوطن العربي، فإن التنافس السلبي أصبح أقصر طرق النجاح وأهم أدواته. نتيجة لذلك، أصبح كل نجاح يحققه شخص ما يأتي في الغالب على حساب حقوق غيره من الناس، وأحياناً على حساب قيم المجتمع ومبدأ العدالة وتكافؤ الفرص. المنافسة الايجابية تشحذ الهمم، وتشجع عمليات البناء والخلق والابتكار، بينما تعمل المنافسة السلبية على تثبيط الهمم، وتشجيع عمليات التشويه والهدم والتدمير لكل عمل خلاق وإنسان مبدع.

د. محمد ربيع www.yazour.com